

الاشتراكية القديمة والاشتراكية الحديثة

هيربيرت لندن

موقع قضايا أمن الأسرة

1 أكتوبر 2009

The New and Old Socialism

By Herbert London

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس



هيربيرت لندن

رئيس مركز هدسون
(مركز شهير للأبحاث
الاستراتيجية في
العاصمة الأمريكية
واشنطن).

أسس كلية غالاتين
للدراسات الخاصة
في جامعة نيويورك
(كلية خاصة بدراسة
الكتب والنصوص
المهمة). وعمل
عميدا لها في الفترة
(1972-1992).

سواء أكانت الاشتراكية التي اعتنقها النازيون. أم الاشتراكية التي سادت في الاتحاد السوفييتي السابق. أم الاشتراكية التي تنشأ حاليا في الولاية المتحدة الأمريكية؛ فإنها جميعا ذات نزعة واحدة متمادية. وذلك بغض النظر عن مدى اختلاف الاشتراكية في تلك المجتمعات الثلاثة. فالاشتراكية أينما كانت تعبر عن شعور الحسد تجاه التفوق من خلال معاملة إسهامات وثروات الناجحين وكأنها متأتية عن إثم ما. وهذا الإثم رآه النازيون على أنه مؤامرة يهودية. والسوفييت فسروه باستغلال الطبقة البرجوازية. والاشتراكية الناشئة حاليا في أمريكا تراه إثم أصحاب الثروات.

جعلت إدارة اوباما من الطمع الإثم الذي ينبغي مجابته. ولكن الطمع مهما كانت نقائصه. وبحسب تفسير الفيلسوف والاقتصادي آدم سميث. فهو حافز على تعزيز الرأسمالية التي لها بالمجمل تأثير صحي على الاقتصاد. ولمحاربة الطمع بشدد الاشتراكيون على استخدام الحسد؛ وبما أن الهدف الأساسي هو تحقيق المساواة، فإن اختلاف الدخل مهما كان صغيرا يتم تضخيمه ويطبق نظام ضرائبي يتفاوت بحسب الدخل كوسيلة فظة لفرض المساواة.

مما يؤثر عن الرئيس لينكولن قوله: «لا يمكنك أن تجعل الفقير غنيا بأن تجعل الغني فقيرا». ولكن الرئيس اوباما يبدو أنه يؤمن

الاشتراكية القديمة والاشتراكية الحديثة

بأن الثروة مرتبطة بإثم ما، وأنها ينبغي أن يسيطر عليها، أو بحسب تعبيره: «يتم توزيعها». ولضمان حصول ذلك يترتب على الدولة أن تتوسع، مما يؤدي إلى تقلص القطاع الخاص دون ريب. وهذا يفسر لماذا تنتهي الاشتراكية، وهي التي تدعي تمثيل مصالح الإنسان العادي، إلى سيطرة مفرطة للدولة وحكم استبدادي شامل.

وكما أن للطمع إفرزات، فإن إفراز الحسد يتمثل في الشماتة والرغبة في تدمير المنافسين. أو، كما في مثالنا: المعاقبة على أجور الإثم المفترض. فإذا كنت تفترض أن الثروة أمر سيئ، وأنها ناتجة عن أفعال غير شرعية أو غير مقبولة، فإن ينبغي معاقبتها من خلال ضريبة إضافية للصحة العامة أو ضريبة تبلغ 40% على الدخل الشخصي. وعلى الرغم من أن 1% من الشعب الأمريكي يدفع ما يقترب من 40% من واردات الدولة، فإن ذلك ليس كافياً لأرباب المساواة؛ فهم يتساءلون: لماذا تمتلك هذه القلة ذلك الكثير؟ ويجيبون على سؤالهم من خلال اقتراح تسوية التفاوت في مستوى الدخل من خلال نقل الثروة.

لا شك أن ما لن يدركه أنصار المساواة أبداً يتمثل في أن الأغنياء سيصلون خلال هذا المسعى إلى مرحلة ينقلون فيها ثرواتهم إلى مكان آمن، وإذا ما كانت هنالك معوقات في طريق نقل رأس المال فهم، ببساطة، سيخفضون الإنتاج. وعلى النقيض من افتراضات الحاسدين، لا يلزم غير 10% من السكان لتكون حافزاً على الابتكار وإنتاج الثروة. وإذا لم يحصل هذا الجزء من المجتمع على عائدات إنتاجه، فلن تكون هنالك إنجازات تكنولوجية ترعى النمو الاقتصادي. وهنا نصل إلى محنة الرئيس أوباما. فمن جهة يحتاج إلى ضرائب باهضة لتمويل برنامجه المحلي الطموح؛ ومن جهة أخرى يؤدي الإفراط في فرض الضرائب إلى احتمالات مخيبة للأمال تتجاوز ما توقعه نظراً لأن أصحاب الثروة سيكونون أقل إنتاجاً مما كانوا عليه في ظل البيئة ذات الضرائب المنخفضة.

الاشتراكية القديمة والاشتراكية الحديثة

إن فشل الاشتراكية هو النتيجة المحتملة التي نصل إليها من قراءة رواية (المنبع) للكاتب آين راند¹ أو المسيرة التاريخية للقرن العشرين. فإذا لم يكن الإتقان هو الهدف من الإنجازات الفردية ساد التكيف وبساطة العيش. وإذا لم تكن الثروة مكافأة للنجاح ساد الفقر. وإذا كان النجاح إنما أصبح الفشل فضيلة.

بالرغم من هذا الواقع فإن الاشتراكية فكرة مثابرة: وفي رأيي أنها مرتبطة باعتقاد معظم الناس بمجانبة الأشياء. وأن بإمكانهم الحصول على شيء ما دون مقابل من خلال الأخذ من الأغنياء. ولكن نفسية (روبن هود) هذه ما هي في الحقيقة إلا نوع من السرقة. إنها تقتطع من ثمار عمل أحدهم. ثم تدعي من دون خجل وبشكل اعتباطي بأن بعض الناس. ببساطة. يملكون أكثر من اللازم.

من المؤسف أن الاشتراكية تشجب «الإفراط» وينتهي بها الحال إلى إعطاء القليل. فما تقدمه ليس إلا خيالا وأفكارا مجردة عن الواقع تسمم الأذهان. ولكن تأثيرها الهدام يظهر في النهاية لا محالة. إذ ما الداعي إلى أن تكون منتجا إن كان غيرك ينتج لك؟ ولماذا تعارض الضرائب المرتفعة إذا كانت توفر لك «مساعدة مجانية»؟ وكما يقول فريدريك فون هايك²: «الطريق إلى العبودية مرصوف بوعود العصر الذهبي الموعود حينما توفر الدولة كافة الاحتياجات».

لقد وضع الرئيس جيرالد فورد هذه القضية بالشكل الأمثل حين قال: «الدولة التي تستطيع أن تمنحك كل شيء ستكون كبيرة بما يكفي لتأخذ منك كل شيء». ومن السيئ جدا أن الرئيس اوباما لا يقرأ التاريخ.

(1) آين راند (Ayn Rand): فيلسوفة وروائية أمريكية (1905-1982): شددت في كتاباتها على فردية الإنسان. وكشفت عن المخاطر التي يواجهها الفرد من الجماعة عندما تتحول إلى كائن طفيلي يعتاش على إنجازات الأفراد دون مقابل. (المترجم)

(2) فريدريك فون هايك (Friedrich von Hayek): اقتصادي أمريكي (1899-1992): ألف كتاب (الطريق إلى العبودية) عام 1944 وناقش فيه ضرورة عدم تدخل الدولة في حل المشكلات الاقتصادية. حصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1974. (المترجم)